

” الإزدواجية ” ، قولٌ بعد قولٍ وقول...!

www.arabpsynet.com/Documents/Doc.SamarraiAmbivalence.pdf

د. صادق السامرائي

أمريكا - العراق

alrahwan@yahoo.com



أسهم أستاذنا العلامة الجليل **علي الورد** في إثارة التفكير وتثوير العقل العراقي ، وقدم قراءة رائعة لتأريخ العراق الحديث. وبخصوص موضوع **الإزدواجية**، وكما أشار الأستاذ العزيز **قاسم حسين صالح** ، في مقالة له في إحدى الصحف الإلكترونية ، مدافعا عن أستاذه الفاضل أو مبررا ، بأن الموضوع لم يكن محصورا أو نهائيا ، وإنما خطوة لإثارة البحث والتفكير والمثابرة على فهم السلوك الإجتماعي ، لكننا وبطبيعتنا المتوارثة نميل إلى الإتهام وشحن الرؤى بطاقات إنفعالية ساخنة ، وقد رأيت ذلك في مواقف عدد من الأساتذة ، وكيف أن الحالة كانت ذات مواقف حكيمية منتهية وغير قابلة للنقاش والتفاعل.

ولا علم لي إن جرت تفاعلات علمية وندوات ما بين المختصين بالعلوم النفسية وعلم الإجتماع وعلّمتنا، لفهم أو تقديم رؤية موضوعية عن الواقع العراقي. وربما لم يتحقق ذلك بحكم الظروف السياسية وغيرها. ولم أنقي بعلمتنا الجليل ، لكنني سمعت عنه من طلابه وقرأت معظم كتبه وآرائه في المجتمع والحياة والتاريخ. هو صاحب أسلوب علمي بحثي إقناعي ، ويميل إلى صياغة نظريته لفهم السلوك الفاعل في المجتمع. فكانت بحوثه ونظرياته ذات أسس ميدانية ومتأثرة بنماذج حية يعايشها ويتأملها ويتفكر بأساليب تفكيرها ودوافع أفعالها وسلوكها.

ومن سلوكنا المتميز أننا لا نبني على ما كان ، وإنما نهدم وندمر الذي كان ونمحقه تماما ، ونحاول أن نجد ما يضع الناجح منا في زاوية النكران والعدوان والإهمال. فلم ننطلق من حيث بدأ أستاذنا العلامة ، وإنما إستهلكنا الوقت في الإقتراب السلبي من نظرياته وطروحاته ، ولم نتقدم علميا ولا إجتماعيا ولا سلوكيا في مسيرة الحياة المعاصرة ، مما أدى إلى ما هو عليه الحال المتأزم ، والذي إستلطف الآلام والتداعيات والأزمات. وعلّمتنا الجليل ، درس في أمريكا ، وبني بعض إستنتاجاته على نماذج من السلوك الذي يصادفه فيقارنه ويعلله ، وبذلك فإن أسلوبه البحثي فردي ويستند على ما يتوفر لديه من المعارف والنظريات في زمانه.

وفي أحد كتبه يشير إلى أنه لاحظ كيف أن صاحب العمل الأمريكي يحرص على تمام

بطبيعتنا المتوارثة نميل
إلى الإتهام وشحن
الرؤى بطاقات
إنفعالية ساخنة

من سلوكنا المتميز أننا لا
نبني على ما كان ،
وإنما نهدم وندمر
الذي كان ونمحقه
تماما ، ونحاول أن نجد ما
يضع الناجح منا في
زاوية النكران والعدوان
والإهمال

ما يحصل للأخوة
الدارسين في الغرب ،
أنهم لا يعرفون المجتمع
الذي يدرسون فيه حق
المعرفة ، ويفسرون
ويستنتجون بناءً على

تجاربهم الفردية
ومصادفاتهم

عندما نخوض في
المجتمع الغربي ،
ونتفاعل مع أبسط إنسان
فيه ، يتبين لنا بأنه لا
يختلف عن أحد مجتمع
آخر في الدنيا ، لكنه
محكوم بقوانين وأنظمة
صارمة يتحرك الإنسان
بموجبها

القانون هو الذي يحكم
ويقرر ويسير الناس في
الغرب وليس الإنسان
نفسه

أنا نقبض على مواقفنا
وتصوراتنا ومشاعرنا
ونحبسها أو نحاكسها من
أجل أن نحقق الإنسجام أو
نتجنب التصادم والصراع

وكمال عمله ، وحسب ذلك من طبعه السلوكي ، بينما أن ذلك يكون بدافع قوة التنافس في
العمل والضوابط والقوانين ، التي تحتم عليه أن يكون كذلك ، وإلا سيفقد مصدر رزقه في
نظام رأسمالي مادي بحت .

فسلوك صاحب العمل الذي أشار إليه مبني على النظام الفاعل في المجتمع وليس على
طبع الشخص وخلقه ، الذي لو لم يكن محكوما بتلك القوة لفعل ما يفعله أي فرد عراقي لا
يعير أهمية للنظام والقانون . فصاحب العمل الأمريكي إذا غش أو لم يخلص ويبدع في عمله
تكون في ذلك نهايته .

وفي ما يحصل للأخوة الدارسين في الغرب ، أنهم لا يعرفون المجتمع الذي يدرسون فيه
حق المعرفة ، ويفسرون ويستنتجون بناءً على تجاربهم الفردية ومصادفاتهم وما تتركه
عندهم من إنطباعات .

فحتى الأخوة الذين أمضوا أعواما في الدول الغربية ، يكونون في معزل عن الواقع
الإجتماعي الحقيقي وديناميكيات الصيرورات الفاعلة في الحياة . لأنهم يكونون محكومين
بالعمل ، وتفاعلهم مع الإنسان من خلال العمل وحسب ، وهي تفاعلات محدودة ومرتبطة
بالموضوع الموصوف ووفقا لضوابط ومعايير سلوكية ملزمة ، فكل دائرة في الغرب
ضوابط سلوكية لا يمكن تجاوزها .

بينما عندما نخوض في المجتمع الغربي ، ونتفاعل مع أبسط إنسان فيه ، يتبين لنا بأنه لا
يختلف عن أي مجتمع آخر في الدنيا ، لكنه محكوم بقوانين وأنظمة صارمة يتحرك الإنسان
بموجبها ، ولا يمكنه أن يخالفها ، لأن في ذلك نتائج صعبة وعواقب وخيمة .

فالقانون هو الذي يحكم ويقرر ويسير الناس في الغرب وليس الإنسان نفسه .
فالمجتمع الغربي مؤلف من أبناء الدنيا كافة ، بما فيهم وما عليهم ، لكنهم ينخرطون في مسيرة
منظمة بقوانين وأحكام لا ترحم المخالف أبدا .

ولهذا فأن الأخوة الدارسين في الغرب ، عندما يقايسون ويقارنون يقعون في خطأ ، لأنهم
يعزرون ذلك إلى السلوك الفردي وطبع الإنسان وآليات سلوكه الحرة وإرادته المطلقة .

وهذا ما أراه في بعض آراء علامتنا الجليل .

والشيء الآخر الذي أشرت إليه سابقا وبصورة غير مباشرة ، هو استخدامه **نظرية**
التنافر التوافقي لفستنجر* والتي طرحها عام 1957 ، وفسر على ضوءها السلوك العراقي

الإزدواجية ، والتبدلات
في المواقف والحالات
والرؤى والمعتقدات ،
موجودة عند كل الناس
ونراها في بشر من
مختلف أقطاع الأرض

عندما يتعلق الأمر بالحياة
والبقاء والموت ، فإن
البشر يتصرف بصورة
متشابهة ذات مميزات
متصلة بما يدرك
ويعي ويعرف ويقدر
ويحسب

بعض من طبعنا
الموروث الذي يميل
إلى الغياب بالفرد
وتمجيد الماضي وعدم
رؤية الحاضر والإنطلاق
نحو المستقبل ، وإنما
نستطف الدوران في
ذات المكان

أعان الله تعالكم أعلامنا
وأفادنا على أميئتنا

وانتهى إلى حالة الإزدواجية وغيرها ، وهذه النظرية معروفة وظهرت أيام كان يدرس في أمريكا.

وخلصتها أننا نقبض على مواقفنا وتصوراتنا ومشاعرنا ونحسبها أو نعاكسها من أجل أن نحقق الإنسجام أو نتجنب التصادم والصراع. فهناك مواقف متصارعة وإعتقادات وسلوكيات ، مما يدفعنا إلى تغيير السلوك أو الإعتقاد من أجل الوصول إلى التوازن وعدم التناقص والصراع.

ويبدو أن علامتنا الجليل قد إستند عليها في رؤيته وتحليله وتفسيره للسلوك في المجتمع العراقي ، بينما هذا السلوك ليس خاصا بالعراقيين وإنما بأي إنسان في الأرض. إنها نظرية لتفسير السلوك البشري عموما وليس العراقي وحسب. فالإزدواجية وأكثر وأكثر ، والتبدلات في المواقف والحالات والرؤى والمعتقدات ، موجودة عند كل الناس ونراها في بشر من مختلف أقطاع الأرض.

وهذا يأخذنا إلى القول بوصف الشخصية البشرية بأسماء وتعريفات إضافية ، فنقول الشخصية العراقية أو المصرية أو التونسية وغير ذلك ، وهذا غير مثبت علميا تماما ، وربما تكمن فيه نوايا سلبية وتعجيزية للناس ، فهناك شخصية إنسانية بأنواعها المعروفة وإضطراباتها ، وتبدي تفاعلاتها المتصلة بتقافتها وبالظروف التي هي فيها ، فالظروف المحيطة تحدد معالم ومعايير الإستجابات البشرية ووفقا لما يحوي البشر من العوامل والعناصر والموروثات السلوكية التي هذبتها الظروف.

فلو أخذت أي إنسان ووضعته في الواقع العراقي فإنه سيتصرف بدرجة كبيرة كما يتصرف العراقي ، وقد تساهم ثقافته ونشأته في بعض الإختلافات.

وعندما يتعلق الأمر بالحياة والبقاء والموت ، فإن البشر يتصرف بصورة متشابهة ذات مميزات متصلة بما يدري ويعي ويعرف ويقدر ويحسب.

والخلاصة، أن عطاءات علامتنا الجليل ، لم ننطلق منها ونؤسس عليها ، وإنما تقيدنا بها وحولناها إلى أصفاد ومصدات ، وهذا بعض من طبعنا الموروث الذي يميل إلى الغياب بالفرد وتمجيد الماضي وعدم رؤية الحاضر والإنطلاق نحو المستقبل ، وإنما نستطف الدوران في ذات المكان.

لقد فتح العلامة الوردية رحمه الله أبوابا عديدة ، لكننا نجد ونجتهد في إغلاقها والدوران حولها.

الحضارية وجهلنا
بمهارات وكيفيات
نكون

أعان الله تعالى أعلامنا وأفذاذنا على أميِّتنا الحضارية وجهلنا بمهارات وكيفيات
نكون. د-صادق السامرائي

2012\6\25

*

Cognitive Dissonance Theory, Festinger 1957

*** **

2012/06/13 - 2012/06/13

" الشبكة تدخل عامها العاشر...حصاد تسع سنوات"

www.arabpsynet.com/Documents/DocTurkyApn9YearsAgo.pdf

*** **

الشبكة: الاشتراك و الخدمات و خيارات الدعم المتاحة

www.arabpsynet.com/Documents/ApnSubscription.pdf

واقع و مستقبل "شبكة العالم النفسية العربية"

www.arabpsynet.com/Documents/DocTurkyCallDialogueAboutAPN.pdf

***** **

المجلة العربية للعالم النفسية

Index APN eJournal

www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

ملف العدد 36 - خريف 2012

" الإدمان في المجتمع العربي... من الوصمة إلى الرعاية"

المشرف: الدكتور مصطفى حسن حسين - القاهرة، مصر/السعودية

دكتوراه علم النفس - مستشفى الأمل، جدة، السعودية

dr.moustafahassan@hotmail.com - arabpsynet@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 30 - 08 - 2012